ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Historical Evolution of Geopolitical Thought: From Ancient Civilizations to the Modern Era

Mohammed Farhan Dhahir Hamad

University of Tikrit / College of Arts

Mohammed Fazaa Obaid Al-Azzawi

University of Tikrit / College of Arts

* *Corresponding author: E-mail* :
MF230071prt@st.tu.ed
07827495232

Keywords:
Geopolitical thought
ancient civilizations
lebensraum
geopolitics
Islamic geopolitical thought

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Mar 2025
Received in revised form 25 Mar 2025
Accepted 2 Mar 2025
Final Proofreading 29 Dec 2025
Available online 31 Dec 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

Geopolitical thought is the result of the interaction between humans, space, and power throughout history. This thought has undergone several developmental stages, beginning with ancient civilizations, where it appeared in the perspectives of the Egyptians, Babylonians, and Greeks regarding the relationship between geography and governance, and was evident in the works of philosophers such as Plato and Aristotle. During the Arab-Islamic era, geopolitical thought witnessed significant advancement through the contributions of Muslim scholars like Al-Maqdisi and Ibn Khaldun, who linked geography with urbanization and the structure of the state. In the modern era, this thought evolved into a more scientific and theoretical discipline, especially with the emergence of geopolitical schools in Europe and America that focused on concepts such as power, location, borders, and the global system. Tracing this historical evolution reveals how geopolitical thought has become a vital tool for understanding international relations and interpreting regional conflicts in the contemporary context.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.12.2.2025.11

التطور التاريخي للفكر الجغرافي السياسي: من الحضارات القديمة إلى العصر الحديث

محمد فرحان ظاهر حمد/ جامعة تكريت/كلية الآداب
محمد فزع عبيد العزاوي/ جامعة تكريت/كلية الآداب

الخلاصة:

يُعد الفكر الجغرافي السياسي نتاجًا لتفاعل الإنسان مع المكان والسلطة عبر مختلف العصور, وقد مر هذا

الفكر بمراحل تطورية بدأت منذ الحضارات القديمة، حيث ظهر في تصورات المصريين والبابليين والإغريق حول العلاقة بين الجغرافيا والحكم، وبرز في أعمال فلاسفة كأفلاطون وأرسطو, وفي العصر العربي الإسلامي، شهد الفكر الجغرافي السياسي ازدهارًا ملحوظًا من خلال إسهامات العلماء المسلمين مثل المقدسي وابن خلدون، الذين ربطوا بين الجغرافيا والعمران والدولة. أما في العصر الحديث، فقد تطور هذا الفكر ليأخذ طابعًا علميًا ونظريًا، خاصة مع بروز مدارس الجيوبولتيك في أوروبا وأمريكا، والتي ركزت على مفاهيم القوة، والموقع، والحدود، والنظام العالمي. إن تتبع هذا التطور التاريخي يُظهر كيف أصبح الفكر الجغرافي السياسي أداة أساسية لفهم العلاقات الدولية وتفسير النزاعات الإقليمية في السياق المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الفكر الجغرافي السياسي، الحضارات القديمة، المجال الحيوي، الجيوبولتيك، الفكر الجغرافي السياسي الإسلامي

المقدمة :

يُعد الفكر الجغرافي السياسي من المجالات العلمية الهامة التي تجمع بين الجغرافيا والسياسة لفهم العلاقة المعقدة بين المكان والسلطة, فقد تطورت هذه الدراسة عبر الزمن بشكل ملحوظ، بدءًا من تصورات الحضارات القديمة التي حاولت تفسير تأثير الجغرافيا على القوة السياسية والحكم، مرورًا بالعصر العربي الإسلامي الذي شهد إسهامات فكرية متميزة في هذا المجال، وصولًا إلى العصر الحديث حيث تبلورت النظريات الجيوبوليتكية بشكل علمي ونظري أكثر دقة.

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع المراحل التاريخية التي مر بها الفكر الجغرافي السياسي، مع التركيز على أبرز الأفكار والمفكرين الذين ساهموا في تطوير هذا المجال، لفهم كيف أصبح هذا الفكر أداة محورية في تفسير العلاقات الدولية والنزاعات الإقليمية في العصر الحديث.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الاسئلة الآتية:

1. كيف تطور الفكر الجغرافي السياسي من الحضارات القديمة إلى العصر الحديث؟
2. ما هي الإسهامات الرئيسية للمفكرين العرب المسلمين في تطور الفكر الجغرافي السياسي؟

فرضية الدراسة:

1. الفكر الجغرافي السياسي مر بمراحل تطورية واضحة بدأت بتفسيرات بدائية في الحضارات القديمة، وازدهرت خلال العصر العربي الإسلامي، ثم تطورت إلى نظريات علمية منهجية في العصر الحديث.
2. إنّ مساهمات العلماء المسلمين مثل المقدسي وابن خلدون قدمت إضافات نوعية مميزة، ربطت بين الجغرافيا والسلطة والعمران، وأسهمت في تشكيل أسس الفكر الجغرافي السياسي الحديث.

أهداف الدراسة:

1. توضيح نشأة الفكر الجغرافي السياسي من خلال تتبع بداياته الأولى في الحضارات القديمة، وتحليل العوامل التي أدت إلى ظهوره.

2. تحليل تطور هذا الفكر عبر العصور، مع التركيز على إسهامات المفكرين في الحضارة العربية الإسلامية والعصر الحديث.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تسلط الضوء على أحد أبرز مجالات الفكر الجغرافي، الذي يُعد أداة الجغرافي، الذي يُعد أداة تحليلية مهمة لفهم العلاقة بين الجغرافيا والسياسة عبر العصور. فهي تقدم قراءة شاملة لتطور الفكر الجغرافي السياسي منذ نشأته في الحضارات القديمة، مرورًا بالفكر العربي الإسلامي، وصولًا إلى النظريات الجيوبولتيكية الحديثة، مما يساهم في سد فجوة معرفية في الأدبيات العربية حول الجذور التاريخية لهذا الفكر. كما تساعد هذه الدراسة الباحثين وصناع القرار في إدراك كيفية تشكل المفاهيم الجغرافية السياسية، وأثرها على تفسير التحولات الإقليمية والدولية، خاصة في ظل ما يشهده العالم اليوم من نزاعات وصراعات ترتبط بالحدود والموارد والموقع الجغرافي.

حدود منطقة الدراسة

1- الحدود المكانية: تغطي الدراسة البيئات الجغرافية التي ساهمت في نشأة وتطور الفكر الجغرافي السياسي، بدءًا من حضارات وادي الرافدين ووادي النيل واليونان القديمة، مرورًا بالعصر الإسلامي في مراكز مثل بغداد وقرطبة، وانتهاءً بأوروبا الحديثة حيث ظهرت المدارس الجيوبوليتيكية الكلاسيكية والمعاصرة.

2- الحدود الزمانية: تمتد من العصور القديمة التي شهدت البدايات الأولى للفكر الجغرافي السياسي، مرورًا بالعصر الإسلامي الوسيط، وصولًا إلى العصر الحديث والمعاصر الذي برزت فيه النظريات الجيوبوليتيكية منذ القرن التاسع عشر وحتى القرن الحادي والعشرين.

اولاً: تطور الفكر الجغرافي السياسي في العصور القديمة

1- الحضارة العراقية (بلاد وادي الرافدين): تُعتبر الحضارة العراقية مهداً للحضارات، فقد بدأت رحلتها الطويلة في عصور ما قبل التاريخ، ثم شهدت تطوراً متسارعاً حتى بلغت أوج ازدهارها في تلك الحقبة التاريخية التي نضجت على ارض بلاد ما بين النهرين(نداء,1997,ص29).وتمتاز الحضارة العراقية القديمة بعراقتها من خلال أنها تنامت على أرض العراق منذ نشأتها الأولى مروراً بتقدمها وصولاً إلى أوج تطورها دون أن تقتبس شيئاً فترة تطورها عبر مراحل ازدهارها وتقدمها من الحضارات الأخرى لكونها من اقدم الحضارات التي عرفها التاريخ(عبد وابراهيم,1990,ص69). وتعتبر الحضارة العراقية خليط من مجموعة من الحضارات التي نشأت على أرض بلاد الرافدين دجلة والفرات وبأدوار متتالية فما بين اكد بأدوارها وما بين الآشوريين و السومريين والبابليين امتزجت كل هذه الحضارات لتكون اقدم حضارة عرفها التاريخ وهي الحضارة العراقية القديمة. تميزت الحضارة السومرية بظهور أول نموذج للدولة المنظمة من خلال نظام دولة المدينة، حيث شكّلت كل مدينة كيانًا سياسيًا ودينيًا مستقلاً، ما مهّد

لظهور مفاهيم السيادة والسلطة المحلية. وقد ارتبطت قوة هذه الدول بقدرتها الاقتصادية، نقص الموارد أدى إلى صراعات وتوسعات، عاكسًا البعد الجغرافي السياسي في نشأة الدولة (رائد، 2014، ص25). يفيد الفكر الجغرافي السياسي بأن حضارة وادي الرافدين سبقت المفاهيم الحديثة في إدراك العلاقة التبادلية بين الإنسان والبيئة، إذ كشفت النصوص المسمارية كملحمة كلكامش عن قدرة الإنسان على تجاوز القيود الطبيعية وتشكيل المجال الجغرافي، وهو ما يتوافق مع ما طرحته المدرسة الإمكانية لاحقًا(رائد,2019,ص246).

أ- الحضارة البابلية:

1. الموقع الجغرافي: تقع بابل القديمة على ضفاف نهر الفرات في جنوب وادي الرافدين، على بُعد نحو 90 كم جنوب بغداد(ابراهيم, بدون تاريخ,ص49). تميز موقعها بوفرة المياه وخصوبة التربة، ما جعلها من أبرز حضارات العالم القديم. وتمتد حدودها من هيت وتكريت شمالًا، إلى الخليج العربي جنوبًا، ومن البادية السورية غربًا حتى نهر دجلة وجبال بشتكو شرقًا، وجبال حمرين شمالًا وشرقًا(هاري,1979,ص109).

2. المجال الحيوي وامتداد الحدود السياسية: بلغت بابل ذروة توسعها في عهد حمورابي، الذي وحّد معظم مدن العراق القديم عبر حملات عسكرية شملت أيسن، آشور، أشنونا، لارسا، وماري. امتد نفوذها من شمال العراق إلى الخليج العربي، ومن الفرات الأوسط إلى شرق دجلة، ووصل إلى أجزاء من سوريا، ما منحها بُعدًا إمبراطوريًا مؤثرًا(عامر واحمد,1989,ص125-126). رغم هذا الاتساع، أدى الغزو الحيثي عام 1595 ق.م إلى سقوط بابل، منهياً مرحلة حمورابي. وقدّرت مساحة الدولة البابلية في أوجها بحوالي 5120 كم²، فيما بلغ محيط مدينة بابل نحو 18 كم، بمساحة تعادل عشرة ملايين متر مربع(ليو أوبنهايم,1981,ص169).ينظر خريطة (1). اعتمدت بابل على الزراعة والتجارة، حيث شكّلت الأراضي الخصبة والمياه دافعًا للتوسع، ما يُظهر فهمًا مبكرًا لمفهوم "المجال الحيوي" في الجغرافيا السياسية, كما مكّنها موقعها من السيطرة على طرق التجارة مع الشام ومصر، مما عزز نفوذها الإقليمي وربط الجغرافيا بالقرار السياسي بشكل مباشر.

خريطة(1) المجال الحيوي للحضارة البابلية

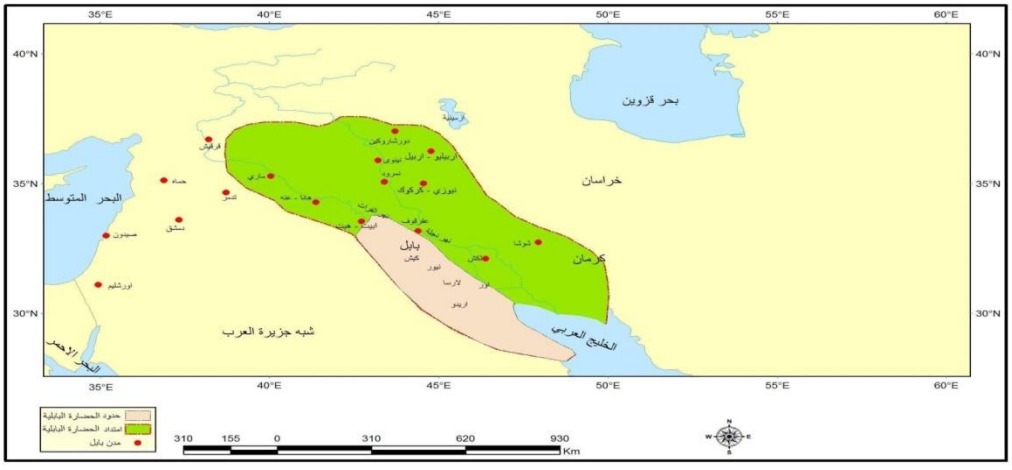

المصدر : شوقي ابو خليل ، أطلس التاريخ العربي الاسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، 2001 ، ص15 .

ب- الحضارة الآشورية

1. الموقع الجغرافي: تُعدّ الحضارة الآشورية من أبرز حضارات بلاد ما بين النهرين، تعود أصولها إلى أقوام جزرية نزحت من شبه الجزيرة العربية بفعل الجفاف في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، واستقرت في شمال العراق ضمن منطقة الهلال الخصيب(جعفر,1979,ص28). حيث وفرة المياه وخصوبة الأرض وفرت بيئة ملائمة لنشوء حضارة مستقرة, اعتمد الآشوريون على الزراعة والري وتنظيم المدن كأساس لبناء مجتمعهم، وامتازت دولتهم بتنظيم إداري وقوة عسكرية ساعدتها في بسط سيطرتها على مناطق واسعة(طه وفاضل,1989,ص202).

2. المجال الحيوي وامتداد الحدود السياسية: توزع الآشوريون على جانبي نهر دجلة، خاصة في منطقتي الزابين الأعلى والأسفل، وشهدت دولتهم توسعًا جغرافيًا حسب الظروف السياسية والعسكرية, كانت تكريت ونهر العظيم حدودًا جنوبية، في حين وفرت السلاسل الجبلية من الشمال والشرق حواجز دفاعية طبيعية(قاسم,1983,ص18). أما غربًا، فغابت الحدود الطبيعية, مما جعل المنطقة مسرحًا للنزاعات، لا سيما مع بابل(هاري,1979,ص19). تميزت حدود الدولة الآشورية بعدم الاستقرار، إذ كانت تتوسع أو تنكمش وفقًا لقوة السلطة المركزية(فاضل,1979,ص25). في أقصى اتساعها، امتد نفوذ الآشوريين إلى أرمينيا شمالًا، والبحر الأسود، وغربًا إلى آسيا الصغرى وسواحل سوريا, ينظر خريطة (2). إلا أن هذا التمدد لم يستمر، فقد واجهت الدولة فترات ضعف بسبب الصراعات الداخلية والتحديات الإقليمية.

خريطة(2) المجال الحيوي للحضارة الآشورية

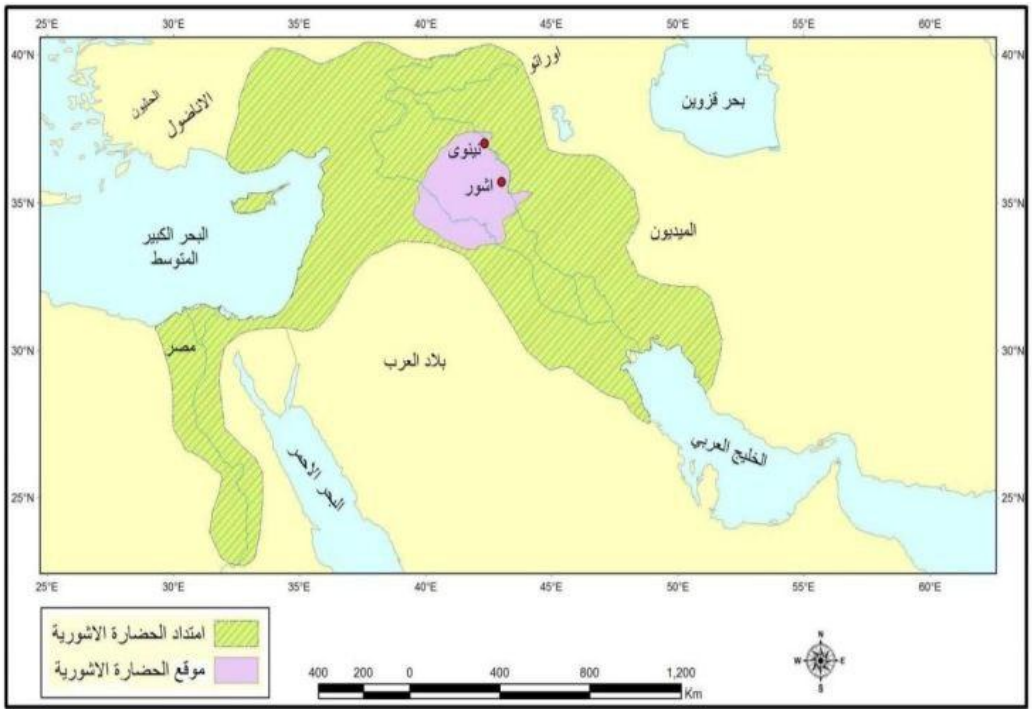

المصدر : شوقي ابو خليل ، أطلس التاريخ العربي الاسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، 2001 ، ص17 .

تجسد الحضارة الآشورية مثالًا مبكرًا لتجليات الفكر الجغرافي السياسي، حيث أثرت العوامل الجغرافية في اختيار مواقع الاستيطان واتجاهات التوسع وحدود الصراع, وقد أظهرت حدودها غير الثابتة واقعًا سياسيًا وجغرافيًا متقلبًا، يرتبط بمدى قدرة السلطة المركزية على توظيف المجال الحيوي، مما يعكس وعيًا مبكرًا بأهمية الجغرافيا في بناء الدولة وصياغة القرار السياسي.

2- الحضارة المصرية (بلاد وادي النيل)

أ- **الموقع الجغرافي:** نشأت الحضارة المصرية في وادي نهر النيل، الذي وفّر بيئة طبيعية ملائمة للزراعة والاستقرار، وأسهم في بناء مجتمع حضاري متماسك. حقق المصريون نهضة شاملة في مختلف المجالات، وبلغت حضارتهم أوجها في العصور الفرعونية(عماد,2011,ص19).تفاعلت مصر مع الحضارات المجاورة، خصوصًا بلاد الرافدين(مختار,1999,ص17). وأسهمت معها في تطور الفكر الجغرافي والمعرفة الإنسانية(.وقد شكّل الموقع الجغرافي الاستراتيجي لمصر، شمال شرق أفريقيا، والمتصل بآسيا عبر سيناء والمطلّ على البحر المتوسط، مركزًا للتفاعل الحضاري والتجاري والعسكري(محمد,1986,ص5). لعب نهر النيل دورًا محوريًا في نشوء الحضارة، بينما وفّرت الصحارى المحيطة عامل حماية طبيعي، مما دعم الاستقرار والنمو(محمد علي,1987,ص36).

ب- المجال الحيوي وامتداد الحدود السياسية: شهدت الحضارة المصرية توسعًا سياسيًا وجغرافيًا ملحوظًا في فترات القوة، فامتد نفوذها. شمالًا إلى سوريا وفلسطين. شرقًا إلى بلاد ما بين النهرين. غربًا إلى ليبيا. جنوبًا إلى السودان. بحريًا إلى جزر البحر المتوسط مثل قبرص وكريت(ناصر,1997,ص11) .ينظر خريطة(3).

خريطة(3) المجال الحيوي للحضارة المصرية

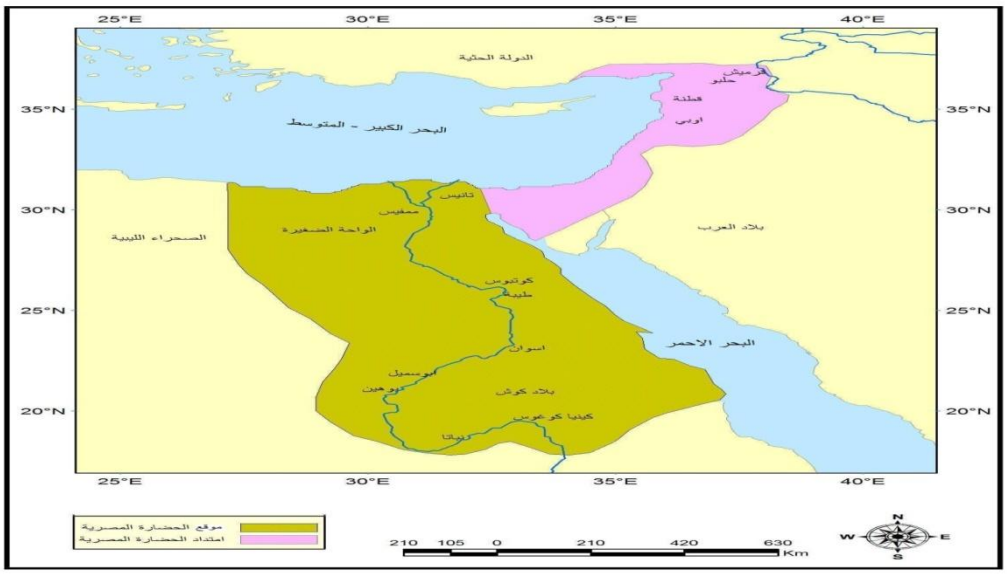

المصدر : سيف الدين الكاتب ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 2007 ،ص76.

ساهمت القوة العسكرية والتنظيم السياسي، إلى جانب الموقع الجغرافي، في ترسيخ هذا التوسع، خاصة عبر طرق التجارة عبر سيناء نحو الشرق الأدنى, ويُعد هذا الامتداد تعبيرًا مبكرًا عن الفكر الجيوبوليتيكي، حيث أدرك

المصريون أهمية توسيع المجال الحيوي لتأمين الموارد وتعزيز النفوذ(عبدالفتاح,2003,ص13). لقد جسدت الحضارة المصرية وعيًا جغرافيًا سياسيًا مبكرًا، وظّفت فيه موقعها ومواردها في بناء القوة والتأثير الإقليمي، مما يعكس تطبيقًا عمليًا لمفاهيم الجغرافيا السياسية التي طوّرت لاحقًا في النظريات الحديثة.

3- الحضارة الهندية(وادي السند)

أ- **الموقع الجغرافي:** تُعد الحضارة الهندية من أقدم حضارات وديان الأنهار، نشأت حوالي 1500 ق.م في وادي نهر السند، وعُرفت بحضارة "هاربا" نسبة إلى أول موقع أثري اكتُشف عام 1922(محمود,1998,ص20). وتمتاز بخصوصية ثقافية ودينية استمرت آثارها حتى العصر الحديث، بخلاف حضارات قديمة اندثرت ملامحها(أندريه وجانيس, 1986,ص547).

ب- **المجال الحيوي وامتداد الحدود السياسية:** امتد المجال الجغرافي للحضارة الهندية إلى نحو 1.4 مليون كم²، شمل مناطق من البحر العربي إلى دلهي، وكانت مدينتا هاربا وموهنجودارو من أبرز مراكزها(محمد,1998,ص20). تجاوز تأثيرها حدود الهند الجغرافية ليشمل سريلانكا، بورما، تايلاند، كمبوديا، فيتنام، إندونيسيا، التبت، والنيبال(سيف الدين,2007,ص86). ينظر خريطة(4).

خريطة(4) المجال الحيوي للحضارة الهندية

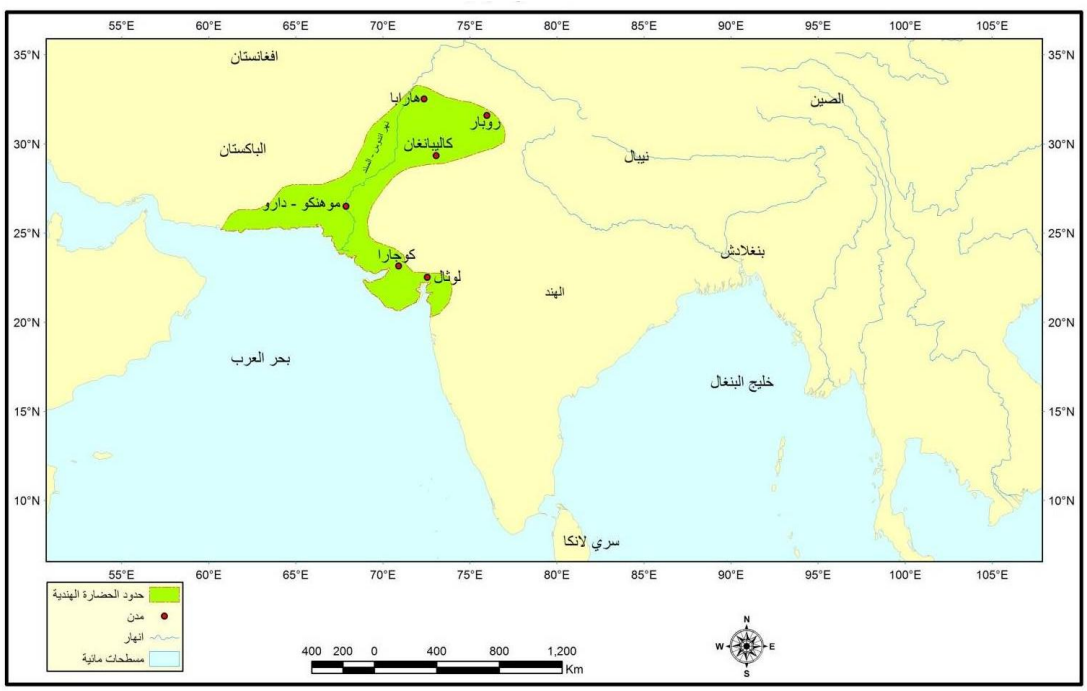

المصدر : سيف الدين الكاتب ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 2007 ، ص88.

ورغم هذا الامتداد، لم تُظهر الحضارة الهندية توجهًا نحو التوسع السياسي أو الاستعماري، بل كانت غالبًا عرضة للغزوات، ويُعزى ذلك إلى بنيتها الفلسفية والدينية الداعية إلى الانكفاء الداخلي والسلام(محمد,1998,ص479). يتبين من ذلك أن الحضارة الهندية تبنّت نموذجًا جيوبوليتيكيًا مغايرًا، لم يجعل من القوة أو التوسع هدفًا استراتيجيًا،

بل ركز على حماية المجال الحيوي الداخلي وتحقيق التوازن الحضاري, وقد تأثر هذا التوجه العميق بالفلسفات الشرقية، مثل الهندوسية والبوذية، التي عززت مفاهيم الانسجام مع الطبيعة وتجنب الصراعات الخارجية, وانعكس ذلك في السياسات العامة التي فضّلت الاستقرار الداخلي على الامتداد الخارجي، ما جعل الفكر الجغرافي السياسي الهندي يرتكز على الثبات والتنوع الثقافي بدلًا من السيطرة والتوسع، مقدمًا نموذجًا حضاريًا فريدًا في الجغرافيا السياسية.

4- الحضارة الصينية

أ- الموقع الجغرافي: نشأت الحضارة الصينية في النصف الشمالي الشرقي من الكرة الأرضية، تحديدًا في القسم الشرقي من آسيا ضمن حوض نهر هوانغ هو (النهر الأصفر)، الذي يُعد الموطن التاريخي الأول لها, ينظر خريطة(5).تُطل الصين على الساحل الغربي للمحيط الهادئ، وتتصل ببحار استراتيجية مثل بوهاي، البحر الأصفر، وبحر الصين الشرقي والجنوبي، مما منحها امتدادًا مائيًا مؤثرًا. أسهم هذا الموقع في خلق عزلة نسبية ساعدت في ترسيخ الطابع الداخلي المحافظ للحضارة الصينية(جوزيف,1990,ص48).

خريطة(5) المجال الحيوي للحضارة الصينية

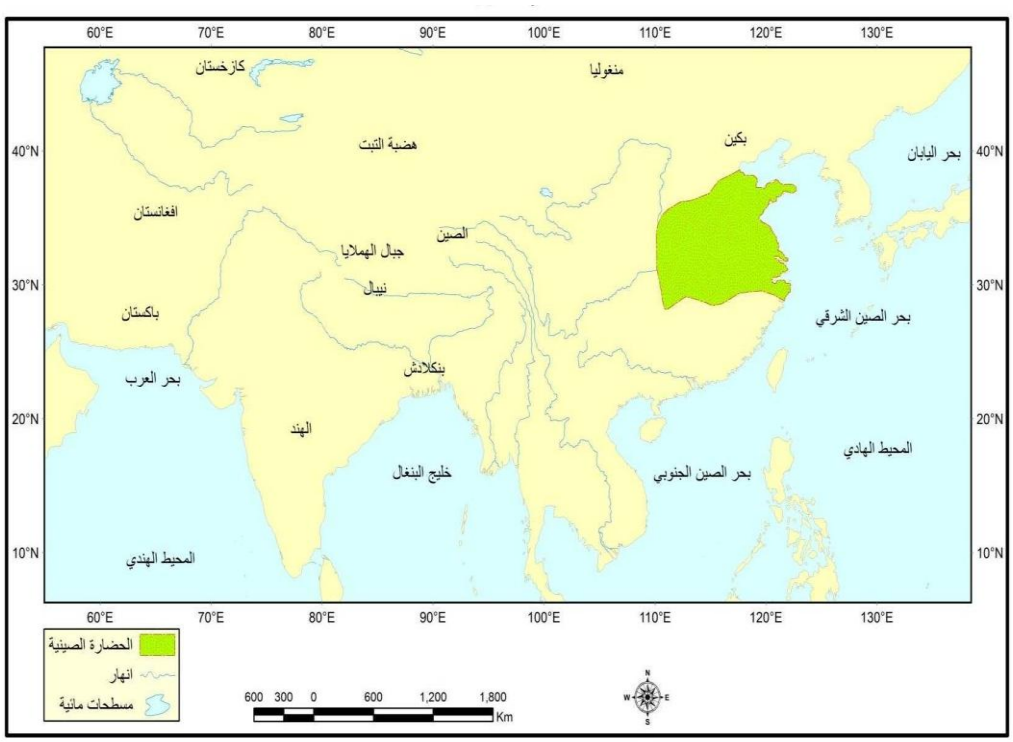

المصدر : سيف الدين الكاتب ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 2007 ، ص92.

ب- المجال الحيوي وامتداد الحدود السياسية: ارتكز المجال الحيوي للصين على المناطق الداخلية حول حوض النهر الأصفر(شيوى,1987,ص1). وشكّلت التضاريس المحيطة حواجز طبيعية قلّلت من فرص التوسع الجغرافي، وأسهمت في الانغلاق الذاتي(محمد,2002,ص82). وفرة الموارد الزراعية وكثافة السكان جعلت المجتمع الصيني

يركّز على المجال الداخلي، مما انعكس على طبيعة علاقاته بالحضارات المجاورة، وقلّل من توجهه نحو التوسع الخارجي(جوزيف,1995,ص48-50).

يتبين من ذلك أن الفكر الجغرافي السياسي الصيني تميز بتفاعل عميق بين الإنسان والبيئة، إذ وظّف الصينيون موقعهم ومواردهم في بناء حضارة ذات امتداد زمني طويل, وقد شكّلت التضاريس المحيطة عاملاً دفاعيًا ساعد في حماية المجال الداخلي، وأسهم سور الصين العظيم في ترسيخ مفهوم الحدود والسيادة المكانية, كما يُعد التوسع الصيني غربًا حتى بحر قزوين بين (20 ق.م – 226م) دليلاً على إمكانية اختراق قلب اليابسة، في نقد ضمني لنظرية قلب العالم لماكندر، والتي قلّلت من قدرة الأطراف على التأثير, هذا ما دفع نيكولاس سبيكمان لتطوير نظرية "الإطار الهامشي" (Rimland)، التي أعادت الاعتبار للأطراف البحرية في موازين القوة الجيوسياسية, ويؤكد انهيار الحضارة الصينية نتيجة التغيرات المناخية لا الغزوات الخارجية، أهمية العوامل البيئية في استقرار المجال السياسي، ما يُعد توسيعًا لمفاهيم الفكر الجيوبوليتيكي التقليدي.

5- الحضارة الفارسية

أ- الموقع الجغرافي: نشأت الحضارة الفارسية في أقصى جنوب غرب الهضبة الإيرانية، في إقليم "بارسا" الذي أطلق عليه الإغريق اسم "فارس"، وانتقل المصطلح إلى العرب لاحقًا. وتُعد من أقدم الحضارات الشرقية التي ازدهرت إلى جانب حضارات كبرى أخرى في الشرق والغرب(محمد,1998,ص303).

ب-المجال الحيوي وامتداد الحدود السياسية: امتد نفوذ الفرس من شرق جبال كردستان وزاغروس، محاطًا بسلاسل جبلية تمثل حدودًا طبيعية: بلاد البوروز شمالًا، جبال خراسان شرقًا، وجبال مكران جنوبًا(نعيم ,بدون سنة,ص81). ينظر خريطة(6).تميّز مجالهم الحيوي بطابع استراتيجي، امتد من الهند وآسيا الوسطى إلى الأناضول وجنوب مصر , ورغم هذا التوسع، لم يُسجَّل للفُرس توسع استعماري طويل الأمد، إذ افتقرت سيطرتهم إلى اندماج ديني وثقافي، مما أضعف ولاء الشعوب التابعة وأدى إلى انهيار الإمبراطورية سريعًا أمام الغزوات الأجنبية(سيف الدين,2007,ص50). يتبيّن أن الطبيعة الجبلية المحيطة بفارس وفّرت لها حماية جغرافية، أسهمت في تعزيز مركزيتها، بما ينسجم مع مفاهيم الفكر الجغرافي السياسي في أهمية الحدود الطبيعية. كما أن توسعها نحو مناطق استراتيجية يعكس توظيفًا للمجال الحيوي وفقًا للمفاهيم الجيوبوليتيكية, غير أن غياب التكامل الثقافي والسياسي أضعف نفوذها، ما يبرهن أن السيطرة الجغرافية وحدها لا تضمن الاستقرار دون أسس فكرية وإيديولوجية متماسكة

خريطة(6) المجال الحيوي للحضارة الفارسية

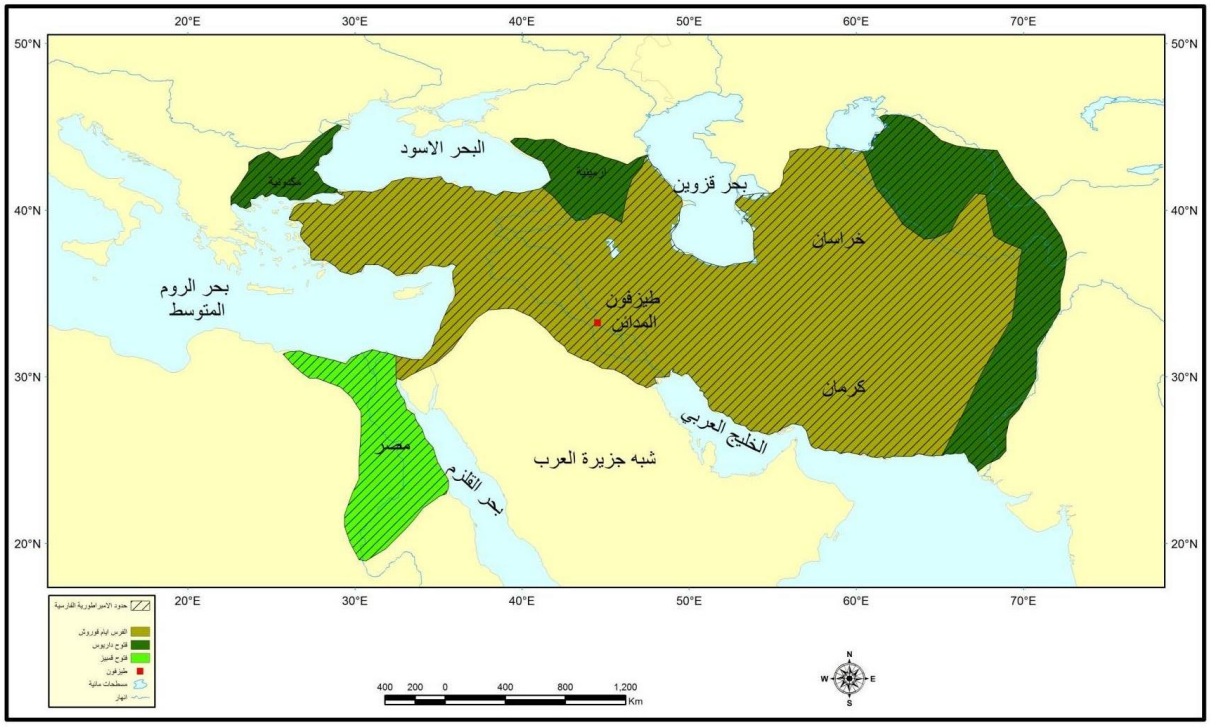

المصدر : شوقي ابو خليل ، أطلس التاريخ العربي الاسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، 2001 ، ص19 .

6 – الحضارة اليونانية

أ– الموقع الجغرافي: ظهرت الحضارة اليونانية نحو عام 1200 ق.م، متأثرة بالحضارات الشرقية كالبابلية والمصرية، مما يجعلها ثمرة تفاعل ثقافي واسع, وتنتمي اللغة اليونانية إلى العائلة الهندو–أوروبية، ويُعتقد أن أصولها تعود إلى منطقة بحر قزوين أو وادي الدانوب، حيث استقرت الجماعات اليونانية في موقع استراتيجي مميز (صبري,1985,ص25).

ب– المجال الحيوي وامتداد الحدود السياسية: نشأت اليونان في موقع يربط بين أوروبا وآسيا، وتشرف على البحر المتوسط، محاطة ببحري إيجة والأدرياتيك(محمد,2011,ص439). ينظر خريطة(7).دفع الضغط السكاني والاقتصادي اليونانيين للهجرة السلمية نحو إسبانيا وشمال أفريقيا وفرنسا، بحثًا عن الأمن الاقتصادي، ما يدل على إدراك مبكر لمفهوم المجال الحيوي(فوزي,1980,ص108). وقد برز الربط بين الجغرافيا والسياسة في فكرهم منذ القرن السادس ق.م، كما في خرائط هيكاتيوس وتقسيمات أرسطو المناخية، التي اعتبر فيها الإقليم المعتدل أصلح لنشأة الدول، مشيرًا إلى تفوق موقع اليونان(بترجي,2012,ص221). كما أكد هيرودوت على ارتباط السياسة بجغرافية الدولة، وهو ما أثّر لاحقًا في المفكرين الجيوبوليتيكيين المحدثين كسبيكمان(محمد,1972,ص176).

خريطة(7) المجال الحيوي للحضارة اليونانية

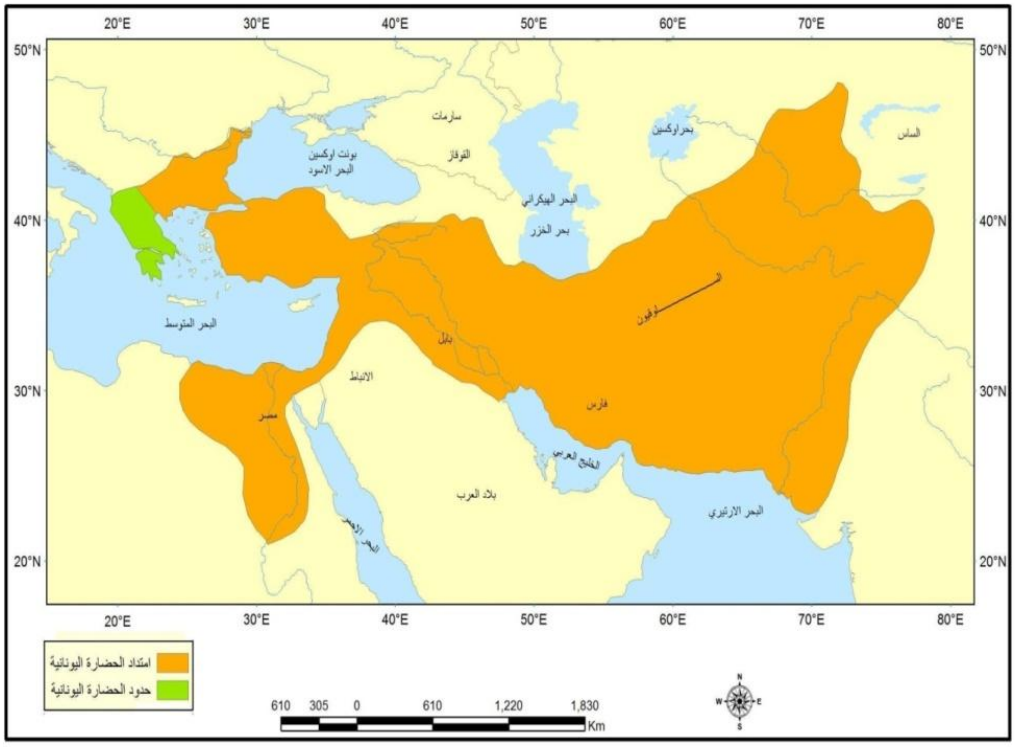

المصدر : سيف الدين الكاتب ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 2007 ، ص45 .

ج- نشأة الدولة: نظر أفلاطون إلى الدولة كحاجة تنبع من عجز الفرد عن الاكتفاء الذاتي، بينما رأى أرسطو أنها تطور طبيعي يبدأ من الأسرة وينتهي بدولة تسعى لتحقيق الخير العام(أفلاطون,1986,ص56).وقدتبنّى الجغرافيون السياسيون لاحقًاهذا المفهوم(ارسطو,2016,ص101)، كما عند بوندس (1963) الذي عرّف الدولة ككيان منظم سياسيًا، وكتيل الذي ربطها بالمنفعة العامة، ولاسكي الذي شدد على الفرد كجزء من منظومة اجتماعية (Pounds, 1963, p. 28). وفيفر الذي أكد على شمولية الدولة كمكوّن سياسي موحد(لوسيفان,1973,ص204).

د- قوة الدولة: ركّز الفلاسفة اليونانيون على البعد المعنوي والمادي للقوة(Jones, 1971, p. 165). زينوفون اعتبر التماسك العسكري جوهر القوة، وأفلاطون رأى أن حكمة الدولة وتنظيمها يعوضان قلة عددها، فيما أكد أرسطو أهمية القوة البحرية والبرية وعدد السكان الأصليين(أفلاطون1986,ص309).أما ثامسطيوس، فربط قوة الدولة بكفاءة القيادة السياسية (Jackson & Samuels, 1971, p. 145).وقد تجلى الفكر الجغرافي الحديث لاحقًا مع راتزل (1897)، الذي اعتُبر مؤسس الجغرافيا السياسية، وطرح أهمية القوة الجغرافية في بناء الدولة.أبرز اليونانيون أهمية السيطرة البحرية، لكنهم لم يولوا اهتمامًا لتطور السلاح، بخلاف المفاهيم الحديثة التي شددت على أسلحة الدمار الشامل، كما دعت بعض النظريات المعاصرة، مثل سبايكمان، إلى السلام العالمي. أن الفكر الجغرافي السياسي عند اليونانيين نشأ من تفاعل البيئة والموقع مع الفكر السياسي، حيث ساهمت كتابات أرسطو وأفلاطون وهيكاتيوس وهيرودوت في ترسيخ مفهوم العلاقة بين الجغرافيا والسياسة.وقد ركز أرسطو على دور الإقليم

والمناخ في نشوء الدولة، وربط الموقع البحري بالقوة، مما يعكس بدايات الفكر الجيوبوليتيكي الذي أصبح فيما بعد علمًا قائمًا بذاته.وكانت الجغرافيا بالنسبة لليونانيين أداة لفهم وتحليل الظواهر السياسية، لا مجرد وصف للمكان.

7- الحضارة الرومانية

أ- **الموقع الجغرافي:** نشأت الحضارة الرومانية عام (508 ق.م) متأثرة بالفكر الجغرافي اليوناني، الذي شكّل قاعدة معرفية للفكر الجغرافي السياسي الروماني، نتيجة التقارب الزمني بين الحضارتين. وقد ساهم اتساع الدولة الرومانية، بدافع القوة العسكرية والتنظيم السياسي، في تكوين رؤية جغرافية امتدت خارج شبه الجزيرة الإيطالية. سكنت القبائل الرومانية، ذات الأصول الهندو-أوربية، وسط إيطاليا بجوار حضارة الأتروسكيين، ويُعتقد أنهم جاؤوا من آسيا الصغرى(طه,1986,ص300). وقد تأسست مدينة روما على ضفاف نهر التيبر، في موقع يتوسط إيطاليا، محاط بالتلال والسهول، مما منحها ميزات استراتيجية مكّنتها من التوسع والسيطرة.

ب- المجال الحيوي وامتداد الحدود السياسية: اتّبع الرومان سياسة توسعية هجومية، فسيطروا على معظم شبه الجزيرة الإيطالية والجزر المجاورة، مقابل منح الامتيازات العسكرية. ومع وعيهم بأهمية السيطرة البحرية، أنشأوا أسطولاً قويًا لهزيمة قرطاجة وضم ممتلكاتها بعد سلسلة من الحروب البحرية(الصادق,1982,ص198). ومع تفكك الممالك اليونانية، توسع الرومان في آسيا وأفريقيا وأوروبا، فواجهوا السلوقيين في سوريا، وبسطوا هيمنتهم على سواحل المتوسط(علي, بدون تاريخ, ص167-184).ينظر خريطة (8).

اختار الرومان مواقع استراتيجية مثل الممرات البحرية، الأراضي الخصبة، والنقاط العسكرية الحرجة، مما عكس فهماً مبكرًا للجغرافيا السياسية. وتجلّت رؤيتهم في تأمين البحر المتوسط كمجال حيوي، وهو ما يتقاطع لاحقًا مع أفكار ماكندر وسبايكمان، مما يؤكد حضور الفكر الجغرافي السياسي في سياساتهم، رغم غياب التنظير النظري حينها.

خريطة(8) المجال الحيوي للحضارة الرومانية

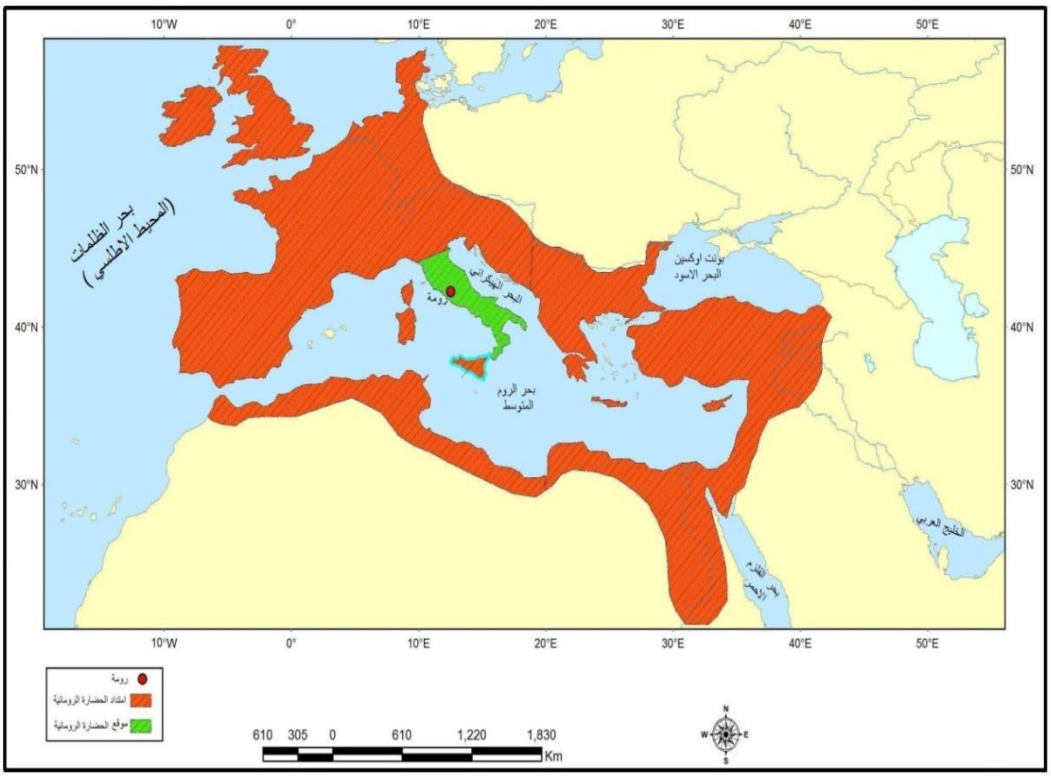

المصدر : سيف الدين الكاتب ، أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق العربي ، بيروت ، 2007 ، ص45.

8-أبرز رواد الفكر الجغرافي السياسي في العصور القديمة

أ – هيرودوت: اعتبر هيرودوت أن للجغرافيا دورًا جوهريًا في تشكيل قوة الدولة ونظامها السياسي والاجتماعي. ربط بين البيئة والتكوين البشري، فرأى أن المناطق الوعرة تُنتج رجالًا أقوياء، بخلاف السهول. كما أشار إلى تأثير المناخ في الطبقات والنظم، وتجسدت رؤيته في عبارته الشهيرة "مصر هبة النيل"، مؤكدًا دور النهر في تشكيل الحياة السياسية والاقتصادية في مصر القديمة(فؤاد, 1974 ، ص 34).

ب- هيبوقراط: في كتابه الجو والماء والأقاليم، ربط بين المناخ وطباع الشعوب، مؤكدًا أن البيئات المتقلبة والجبال تُكوّن شعوبًا قوية وشجاعة، بينما البيئات المستقرة تُنتج شعوبًا خاملة ذهنيًا. كما لاحظ تفوق سكان الجبال في الطول والطباع مقارنة بسكان المناطق المكشوفة والجافة(عبدالله,1993,ص36).

ج- أفلاطون (429-347 ق.م): تناول في كتابه الجمهورية بنية المدينة المثالية، وسعى من خلال رؤيته إلى تحقيق الوحدة الاجتماعية والسياسية. حدَّد عدد السكان المثالي، واقترح نظامًا للطبقات، وأعطى القضاة صلاحيات في تنظيم الحياة الأسرية. كما وضع أسسًا لعلاقة الدولة بالأفراد تتغير تبعًا للأنظمة السياسية، ساعيًا لمعالجة اضطرابات المدن اليونانية(أرسطو,1980,ص369).

د- أرسطو (384–322 ق.م): أولى أهمية كبرى لتأثير البيئة في تكوين الشعوب، فصنّف الأوروبيين بالشجعان دون نظام، والآسيويين بالذكاء دون جرأة، بينما رأى في الإغريق المزيج المثالي(محمد,2000,ص45). درس الدولة من حيث السكان، الموارد، والموقع الجغرافي، وأكد أهمية موقع العاصمة وخصائصها الدفاعية. أشار مبكرًا إلى مفاهيم الحدود السياسية، واعتبر الدولة كيانًا اجتماعيًا يسعى لتحقيق الخير العام، وهو ما يلتقي مع طرح لاسكي لاحقًا. كما رأى أن الدولة تنشأ من اتحاد القرى، في مقابل الرؤية الحديثة التي تُعرف الدولة بوظائفها السيادية، كما أكد فيفر لاحقًا في تمييزه بين البنية الاجتماعية والتنظيم السياسي. يكشف التحليل التاريخي لمراحل تطور الفكر الجغرافي السياسي عن حضورٍ مبكرٍ وفاعلٍ لهذا الفكر في صلب بنية الحضارات القديمة، حيث شكّل الجغرافيا عاملًا حاسمًا في صياغة السياسات وتحديد مجالات النفوذ. لقد أدركت تلك الحضارات أهمية الموقع، والحدود، والمجال الحيوي كمرتكزات استراتيجية لضمان الأمن والاستقرار، والتوسع والسيطرة. ومن خلال تتبع التجارب الجغرافية السياسية في بلاد الرافدين، ومصر، والهند, والصين,واليونان، وروما، وفارس، يتجلى أن المفاهيم الجيوبوليتيكية لم تكن وليدة العصر الحديث، بل كانت مطبقة فعليًا وإن لم تُصغَ بمصطلحات نظرية بعد. وهكذا، فإن الفكر الجغرافي السياسي قد تشكّل كتراكم معرفي ارتبط بالواقع العملي للدولة، وتفاعل مع حاجاتها الأمنية والاقتصادية والثقافية، مما يؤكد على أن الحدود السياسية ليست خطوطًا على الخرائط فحسب، بل انعكاسات لتوازنات القوة والرؤية الجغرافية العميقة التي حكمت سلوك الفاعلين عبر التاريخ. ولتوضيح النطاق الجغرافي والزمني لنشأة هذه الحضارات، يُمكن الرجوع إلى الجدول (1-1) أدناه الذي يبيّن أماكن تواجدها وتاريخ نشوئها التقريبي وتأثيرها على تطور الفكر الجغرافي السياسي.

جدول(1-1) مناطق نشوء الحضارات القديمة وتأثيرها على تطور الفكر الجغرافي السياسي

الحضارة	الموقع الجغرافي	تاريخ نشوئها	أثر البيئة على الفكر الجغرافي السياسي
العراقية	بين نهري دجلة والفرات (ميزوبوتاميا)	في الالف الرابعة قبل الميلاد	تأثير الأنهار في تحديد الحدود وتنظيم الموارد المائية وتأسيس المدن المستقلة.
المصرية	ضفاف نهر النيل	في الالف الثالثة قبل الميلاد	تحديد الحدود الطبيعية باستخدام النيل، وتطوير مفاهيم السيطرة على المياه.
الهندية	حوض نهر السند ونهر الغانج	في الالف الثانية قبل الميلاد	ساهمت الأنهار والتنوع المناخي في بناء مدن محصنة، ونشوء نظم اجتماعية وإدارية متأثرة بالموقع الجغرافي.
الصينية	حوض النهر الاصفر ونهر اليانغستي	في الالف الثانية قبل الميلاد	أدى التنوع البيئي والتضاريس إلى تطوير نظام مركزي قوي وتوسيع الحدود على أساس الدفاع عن المجال الحيوي.
الفارسية	(الهضبة الإيرانية)بين الخليج العربي وبحر قزوين	في الالف الثانية قبل الميلاد	اعتمدت على الموقع الاستراتيجي بين الشرق والغرب، وأسهمت في تطوير أنظمة إدارية واسعة ونقل السلطة عبر طرق تجارية محمية.

اليونانية	منطقة جبلية وساحلية	في الالف الثانية قبل الميلاد	تشكيل مدن–دول مستندة إلى التضاريس، والتركيز على القوة البحرية لحماية الحدود.
الرومانية	إيطاليا وسهول البحر الأبيض المتوسط	في الالف الاول قبل الميلاد	استخدام التنوع الجغرافي في توسيع النفوذ العسكري والإداري عبر الأراضي المختلفة.

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على:

1. جلال مظهر ، حضارة الاسلام واثرها في الترقي العالمي ، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة ، 1963 ، ص 450.
2. محمد ياسين أحمد الدليمي، التأصيل الفكري لمفهوم الدولة: دراسة في الفكر الجغرافي، رسالة ماجستير،(غير منشورة), كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار، 2012,ص27–53.

ثانياً: الفكر الجغرافي السياسي في العصر العربي الاسلامي

1–التنظيم القبلي: شكّل التنظيم القبلي أساس البنية السياسية في المجتمع العربي قبل الإسلام، إذ انبثقت القبيلة من جماعة ذات أصل مشترك، ربطتها رابطة "العصبية"(محمد,2005,ص24). وقد اعتُبر التنظيم القبلي اللبنة الأولى في بناء الدولة(محمد,2005,ص25). التي تُعدّ، بحسب ابن خلدون، النعرة التي تدفع الفرد للدفاع عن أقاربه عند الظلم أو الخطر، وتنشأ عبر النسب، أو المصاهرة، أو الولاء. وقد اعتبرها ابن خلدون الأساس الأول لنشوء الدولة، لما تمنحه من تماسك وولاء مشترك يعزز الحماية والمطالبة بالحقوق، محذرًا من أن غيابها يعني فقدان أدوات البقاء والمقاومة(ابن خلدون,1984,ص154). انقسم سكان الجزيرة العربية إلى "أهل الوبر" (البدو) و"أهل المدر" (الحضر)، حيث تميّز البدو بالاكتفاء بالضرورات، في حين سعى الحضر للترف، مما انعكس على سمات كل من البداوة والحضارة(عمر,1984,ص56–57). وقد رأى مؤرخون أن غياب الدولة المركزية في المجتمع الجاهلي يعود إلى سيادة العصبية القبلية، وطبيعة الجزيرة القاسية، واتساع رقعتها، وانتشار البداوة، مما أعاق نشوء تنظيم سياسي موحد(عبدالعزيز,1968,ص570). كما يُعزى ضعف الشعور بالقومية لدى العرب الجاهليين إلى محدودية الوعي السياسي الذي لم يتجاوز حدود القبيلة(عبدالعزيز,1968,ص32)، إضافة إلى طبيعة البنية الاقتصادية التي جعلت من القبيلة أعلى وحدة سياسية لدى البدو، تقابل مفهوم "الشعب" في الدولة الحديثة(ثناء,2001,ص34).ويُعد التنظيم السياسي انعكاسًا لتطور العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، حيث يرتبط في المجتمعات المتحضرة بمفاهيم الإقليم والسلطة والتملك، في مقابل المجتمعات البدائية التي تقوم على رابطة الدم. ومن هنا، فإن اختزال السياسة في الجغرافيا وحدها يُعد فهمًا قاصرًا عن ديناميكية نشوء الدولة، كما يوضّح الشكل (1).ابرز عناصر وجود القبيلة.

الشكل(1-1) عناصر القبيلة

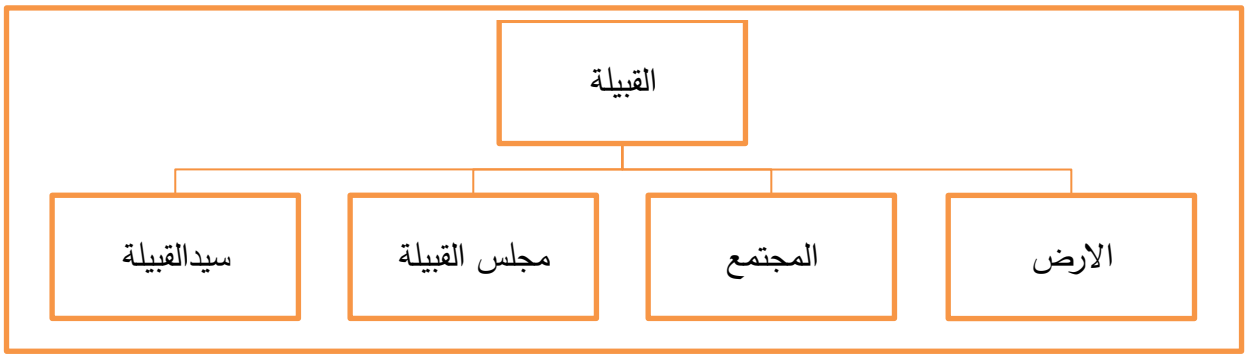

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على

1. الخطيب محمد , مصدر سابق,ص82.
2. واضح الصمد ، الحضارة العربية الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، 2009 ، ص24.
3. أزاد احمد علي وآخرون ،الفكر الاجتماعي الخلدوني (المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2004 ، ص149.

2- التأثير الجغرافي للقوى السياسية في نشوء الدولة العربية الإسلامية

أ-الثورة الروحية وتشكيل الفضاء الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية : شكّلت الرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي محمد (ﷺ) ثورة روحية كبرى أحدثت تحولًا عميقًا في بنية الثقافة العربية، إذ منحتها أبعادًا حضارية شاملة تجاوزت الإطار المحلي إلى الإطار الإنساني والكوني(صبري,1999,ص28). وبفضل القيم التي حملها الإسلام، أعيد تشكيل الإنسان العربي ليغدو فاعلًا حضاريًا يسهم في صياغة عالم جديد، يقوم على الوعي والرسالة والمشاركة. وهكذا اكتسبت الثقافة العربية الإسلامية طابعًا حضاريًا متكاملًا، مواكبًا للتحولات الفكرية والعلمية والإنسانية.

ب- المجال الحيوي للدولة العربية الإسلامية وامتداد حدودها السياسية: من خلال إدراك الجغرافيين العرب والمسلمين لعلم الجيوبوليتيك، قاموا بتقسيم العالم إلى منطقتين رئيسيتين: أوروبا شمالًا، وآسيا وأفريقيا جنوبًا. وقد اعتبروا هاتين القارتين كتلة واحدة وفقًا لمفهومهم الجغرافي، وهو ما يعكس تصورهم الشامل للفضاء الجغرافي. كما موضح خريطة(9). وبفضل قوة تماسكهم وروح العقيدة العالية، أظهر العرب والحضارية التي تعزز استقرارهم وفاعليتهم على الساحة الدولية. وفي ذات الوقت، سعى العرب المسلمون إلى بناء حضارتهم وفق نموذج إداري محكم، كان بمثابة المسلمون قدرة فائقة على تنظيم مجتمعهم وإثبات نضجهم السياسي, كان لديهم الوعي الكامل بكيفية التصدي للمخططات الدولية التي كانت تحاك ضدهم، ويؤكدون بذلك إبداعهم في ابتكار النظم العلمية الأساس الذي يضمن تلاحم الأقاليم في إطار من التعاون والتكافل المشترك بين مختلف أجزاء الدولة الإسلامية , وفي ظل هذه القوة السياسية، أصبحت الإمبراطورية الإسلامية في العصور الوسطى أكبر إمبراطورية في العالم، حيث استعادت المنطقة الشرق أوسطية دورها في استقطاب طرق التجارة العالمية التي كانت تمر عبر بغداد والقاهرة،

وهما المدينتان اللتان أصبحتا في ذلك الوقت مركزين عالميين للتجارة والاقتصاد، تمامًا كما قامت بذلك بعد عدة قرون كل من إسبانيا والبرتغال وبريطانيا, فبغداد والقاهرة كانتا تمثلان نقاط التقاء لتجارة العالم، وهو ما يبرز تأثير الحضارة الإسلامية في سياق القوى البحرية والسيطرة على بحار العالم القديم. هذا الدور التاريخي أكد التأثير العميق على ظهور نظرية النطاق الهامشي التي طورها سبيكمان، خاصة في ما يتعلق بحدود ومساحات مراكز الحضارة الإسلامية وفقًا لنظريته, توسع الدولة العربية الإسلامية في القرنين الثاني والثالث الهجري (الثامن والتاسع الميلادي) كان بمثابة أوسع إمبراطورية سياسية في العالم آنذاك، حيث امتدت حدودها من حدود الصين شرقًا إلى جبال البرانس غربًا وحدود الصين شرقًا إلى جبال البرانس غربًا(راغب,2009,ص200)، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالًا إلى صحاري أفريقيا جنوبًا. هذا الامتداد الشاسع للمناطق الخاضعة للدولة الإسلامية فرض ضرورة وجود نظام إداري محكم، قادر على التنسيق بين الأقاليم المختلفة وإدارة هذه المساحات الواسعة. هذا التحدي كان يتطلب جمع معلومات دقيقة عن الأراضي الزراعية، وتنظيم عمليات الري والسقي، ووضع شبكات الطرق المؤدية إلى الأماكن الحيوية، بالإضافة إلى وضع العلامات الإرشادية للمسافرين والمواسم الدينية، مثل موسم الحج(راغب,2009,ص102).

يتبين من ذلك أن الفكر الجغرافي السياسي لدى العرب المسلمين شهد تطورً ملحوظًا تماشيًا مع التوسع الجغرافي والسياسي للإمبراطورية الإسلامية. بدأ هذا الفكر بتقسيم العالم إلى مناطق جغرافية رئيسية، ثم تطور ليتعامل مع تحديات تنظيم المساحات الشاسعة واحتياجات الإدارة. تأثر الفكر الجغرافي العربي بنظريات مثل "النطاق الهامشي" لسبيكمان، ما عزز من قوة الدولة في السيطرة على المواقع الحيوية. كما أسهم التوسع في جمع معلومات دقيقة عن الأراضي, كما نبذ الجغرافيون المسلمون فكرة تسطح الأرض بعد تأثرهم بآراء بطليموس، وآمنوا بكرويتها، وثباتها في مركز الكون، وإحاطتها بالبحار(محمدوسهير ,2024, ص65). ، وطرق الري، وتنظيم النقل، مما ساعد في استقرار الدولة الإسلامية وضمان استمراريتها.

خريطة(9) المجال الحيوي للحضارة العربية الاسلامية في العصر الوسيط

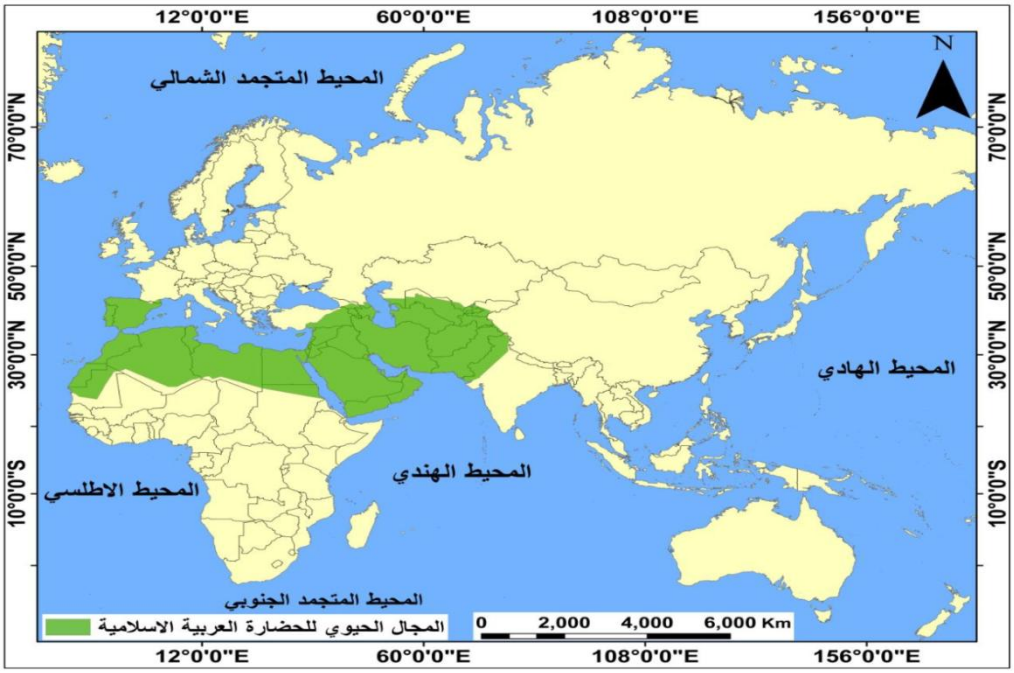

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على اطلس العالم الجغرافي، وباستخدام برنامج Arc gis10. 8

3-أبرز رواد الفكر الجغرافي السياسي في العصر العربي الاسلامي

1- المقدسي: يتجلّى الفكر الجغرافي السياسي عند المقدسي من خلال تقسيمه المنهجي للعالم الإسلامي إلى أقاليم واضحة، واعتباره المدن الكبرى مراكزًا سلطوية وإدارية تمثل نواة الدولة. وقد وضع شروطًا دقيقة للمدينة/المصر كمركز للدولة، أبرزها: وجود السلطان، الدواوين (كوزارات حديثة)، المسجد الجامع، عدد السكان، والتحصين العسكري. ويعكس هذا الطرح وعيًا مبكرًا بأهمية التنظيم الإداري والعسكري والديني في ترسيخ مفهوم الدولة المركزية. ورغم عدم تناوله الحدود بصيغة مباشرة، فإن وصفه الدقيق للأقاليم يشير إلى فهم أولي لطبيعة الحدود الإدارية والسياسية التي تحفظ استقرار الدولة(كمال,2006,ص165).

2-الادريسي: يتجلى الفكر الجغرافي السياسي عند الشريف الإدريسي في تقسيمه العلمي للعالم المعروف آنذاك إلى سبعة أقاليم مناخية أفقية وفق خطوط العرض، ما يعكس وعيًا بالعلاقة بين البيئة والتنظيم السياسي. في كتابه نزهة المشتاق، أوضح أن هذا التقسيم استند إلى تفاوت المناخ والأوضاع الاجتماعية، مما يؤثر على العمران والنظام السياسي (الإدريسي، د.ت، ص 8). وقد قسم كل إقليم إلى عشرة أقسام، وخصص خريطة لكل منها (بمجموع 70 خريطة)، في محاولة لتقديم تصور مكاني دقيق يخدم صانع القرار في إدارة السكان وتنظيم السلطة. كما أن خريطته الفضية المنقوشة بطلب من الملك روجر الثاني تُظهر البعد السياسي لعمله، إذ هدفت إلى تمكين الحكام من فهم جغرافية الممالك المجاورة وتعزيز قوتهم. وصرّح الإدريسي في مقدمة كتابه بأن هدفه هو تزويد الملوك بمعلومات جغرافية تخدم التخطيط السياسي والإداري، مما يدل على وعيه المبكر بدور الجغرافيا في خدمة الدولة(عبد وفاضل,1984,ص17).

3-ابن خلدون: أسهم ابن خلدون (1332–1406م) إسهامًا نوعيًا في تأسيس مفهوم "دورة حياة الدولة" ضمن إطار يجمع الجغرافيا بالسياسة والاجتماع، حيث شبّه الدولة بالكائن الحي الذي يمر بمراحل: الميلاد، الصبا، النضج، الشيخوخة، والموت. وأكد أن هذه المراحل ترتبط بمجال الدولة الجغرافي، ومواردها، وتركيبتها السكانية، ما يعكس وعيًا مبكرًا بمفاهيم الجيوبوليتيك مثل "الامتداد المكاني"، و"المجال الحيوي"، و"منطقة النواة", أوضح ابن خلدون التمايز بين مركز الدولة وأطرافها، مشيرًا إلى أن المركز يمثل القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية، بينما تعاني الأطراف من ضعف الولاء وهشاشة السيطرة بسبب البعد الجغرافي. وأكد أن ضعف الدولة يبدأ من الأطراف، في حين يكون المركز آخر ما يصاب بالوهن. كما بيّن أن استمرار الدولة يتطلب "فكرة جامعة" تكسبها شرعية وتحفظ وحدتها، وهي ما يُعرف لاحقًا بـ"فكرة الدولة" أو "مبرر الوجود"(Hartshorne, 1950, p. 95). وعلى الرغم من تأثره بمن سبقوه، أعاد ابن خلدون صياغة المفاهيم المتعلقة بنشوء الدولة في إطار علمي متقدّم، وعبّر عن وعي بمفاهيم المركز والهامش، التي أصبحت لاحقًا أدوات تحليل أساسية في الجغرافيا السياسية. كما تناول أثر البيئة والمناخ على طبائع الشعوب، وقدم تفسيرًا مرنًا للعلاقة بين الإنسان وبيئته، وهو ما ينسجم مع مبادئ "الحتم البيئي" دون جبرية مطلقة(ابن خلدن,1982,ص145). **وقد قسم تطور الدولة إلى ثلاث مراحل رئيسية:**

1. المرحلة الأولى: مرحلة البداوة، حيث تقوم العلاقات على العصبية والتكافل لحماية المصالح.
2. المرحلة الثانية: مرحلة التمدّن، ويظهر فيها الرخاء والترف، وتتحسن الظروف
3. المرحلة الثالثة: تبدأ الدولة في الانحدار نتيجة الترف، والانفراد بالسلطة، وفقدان الروح الجماعية.

وأكد ابن خلدون أن أركان الدولة تتكوّن من ثلاثة عناصر رئيسة: الشعب، والإقليم، والسلطة، ما يضعه في مقدمة المفكرين الذين سبقوا العصر في تصور الدولة ككيان سياسي–جغرافي متكامل

الاجتماعية(مصطفى,1972,ص135). يتبيّن من ذلك أن الفكر الجغرافي الإسلامي لم يكن مجرد امتداد للموروث القديم، بل جاء نتيجة تطور حضاري شامل، جمع بين النظرية والتطبيق. نشأ هذا الفكر في بيئة توسعت جغرافيًا وسياسيًا، مما فرض على العلماء المسلمين ضرورة فهم خصائص المناطق من حيث الموقع والسكان والموارد. وقد ارتبط الفكر الجغرافي ارتباطًا وثيقًا بالسياسة، حيث استُخدم في إدارة الأقاليم وتنظيم شؤون الدولة، وظهر ذلك جليًا في مؤلفات الجغرافيين المسلمين التي تناولت الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وبرزت إسهامات مثل المسعودي، والإدريسي، وابن خلدون، في توظيف الجغرافيا لفهم قيام الدول وازدهارها أو تراجعها. ومن ثمّ، فإن الفكر الجغرافي الإسلامي كان تحليليًا وعمليًا، سبق غيره في الربط

بين الجغرافيا والسياسة، ومهّد لنشأة الجغرافيا السياسية الحديثة.

ثالثاً: الفكر الجغرافي السياسي في العصر الحديث

شهدت الجغرافيا تحولًا مهمًا بعد نشر كتاب الجغرافيا العامة لبرنارد فارينوس عام 1650، حيث تطورت المفاهيم لتُقسم الجغرافيا إلى طبيعية وبشرية بفضل إسهامات هومبولت وريتر، ثم إلى عامة وإقليمية مع فروع متعددة مثل المناخ والاقتصاد والسياسة، فيما عُرفت هذه الحقبة بالمرحلة الكلاسيكية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وفي أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت الجغرافيا السياسية كعلم مستقل يهتم بدراسة الدولة كوحدة جغرافية تخضع لعوامل طبيعية

وسكانية واقتصادية(شاكر,2007,ص10). ركز هذا الاتجاه على نشأة الدولة وتطورها، وتحليل بنيتها ضمن بيئتها الجغرافية. وقد ساهم هذا التطور في النظر إلى سطح الأرض كمجال لتوزع القوى السياسية وتفاعلها(دولت,د.ت,ص10). وكان لفكر روّاد مثل راتزل، ورودلف كيلين، وهاوسهوفر دور بارز في تأسيس الجغرافيا السياسية، من خلال بناء نظريات ومفاهيم ساعدت في فهم العلاقة بين الجغرافيا والسياسة **وفيما يلي عرض موجز لأبرز هؤلاء المفكرين وإسهاماتهم:**

1- فريدريك راتزل: يُعد فريدريك راتزل من أبرز الجغرافيين الألمان(محمد,1996,ص305) ,ومؤسس الجغرافيا السياسية الحديثة، حيث ألّف عام 1897 أول كتاب منهجي يعالج العلاقة بين الجغرافيا والسياسة(محمد,1989,ص59). عرّف الدولة بأنها كيان مرتبط بالأرض، شبيه بالكائن الحي الذي يمر بمراحل الولادة والنمو والاضمحلال، مؤكدًا أن الدولة لا تبقى ثابتة بطبيعتها(خليل,2009,ص25). وقد ركّز على أهمية الموقع، والحدود، والمساحة، وطرح نظرية المجال الحيوي، مشبّهًا الحدود بجلد الكائن الحي(احمد,2022,ص22). صاغ راتزل سبعة قوانين لنمو الدولة،(نصير,2010,ص44-45). تضمنت: ارتباط التوسع الجغرافي بانتشار الثقافة، وضرورة اندماج السكان الجدد، وأهمية الحدود في الاستقرار، وسعي الدولة للسيطرة على المناطق ذات القيمة الاستراتيجية، إضافة إلى العلاقة بين التوسع السكاني والنمو الإقليمي، والتأثير الثقافي الخارجي في الحراك الديمغرافي، وأخيرًا اعتبار التوسع عملية طبيعية قد تتضمن

استخدام القوة لتحقيق النمو.

2- **رودولف كيلين:** يُعد كيلين من أبرز الجغرافيين السياسيين السويديين، وقد طوّر فكرة الدولة ككائن حي، التي سبق أن طرحها راتزل، مضيفًا إليها بُعدًا أخلاقيًا وذهنيًا، حيث اعتبر الدولة كائنًا عاقلًا يسعى نحو القوة والسلطة. توقع كيلين بروز قوى عظمى في آسيا وأفريقيا وأوروبا، وانتقال مركز القوة من البحار إلى اليابسة(محمد,1997,ص11). أطلق كيلين مصطلح "الجيوبوليتك" (Geopolitik) عام 1922، مميزًا إياه عن الجغرافيا السياسية؛ إذ يُعنى الجيوبوليتك بالتطبيق السياسي للجغرافيا في إطار خطط الدولة المستقبلية(محمد,1988,ص43). قسم كيلين دراسة الدولة إلى عدة محاور: الجغرافيا، السكان، التركيب الاجتماعي، والموارد الاقتصادية، مؤكدًا أن السعي نحو السلطة لا يقتصر على التوسع المكاني بل يشمل توظيف أدوات الحضارة(عبدالرزاق,1976,ص386). واعتبر أن استقرار الإنسان في بيئة معينة وولاءه لها يفضي إلى نشوء الأمة، فيما أسماه "الغريزة الجغرافية". ووفقًا لتعريف جون كيفر، فإن الجيوبوليتك يدرس سلوك الدولة في الساحة الدولية وفقًا لموقعها وقدراتها الاقتصادية، مؤكدًا أن التقدم الصناعي يعزز طموحات الدولة في التوسع الحيوي. **الفروق بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتك:**

أ.الجغرافيا السياسية تدرس كيان الدولة، بينما الجيوبوليتك يضع خططها المستقبلية.

ب.الجغرافيا السياسية تركز على الماضي والحاضر، والجيوبوليتك يهتم بالمستقبل(هادي,1984,ص14).

ج. الجغرافيا السياسية هي الأصل، ومنها تفرعت الجيوبوليتك.

3-**كارل هاوسهوفر:** يعد هاوسهوفر جغرافيًا ألمانيًا بارزًا حصل على درجة الدكتوراه في جغرافية اليابان عام 1911, خدم في الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الأولى، وعُين في عام 1895 مدرسًا للجغرافيا والتاريخ في معهد

ميونيخ، ثم أسس معهد الجغرافيا السياسية في ميونيخ ,وبعد وصول هتلر إلى السلطة، تم تعيينه رئيسًا للأكاديمية الألمانية(معين,2006,ص28).تتمثل آراء هاوسهوفر في تأثره الشديد بفكرة النطاق الجغرافي باعتباره العامل الذي يتحكم في تاريخ البشرية، حيث يرى أن الدولة يجب أن تتوسع أو تفنى. وفقًا له، فإن مقومات الدولة القوية تتلخص في أربعة عناصر هي: كثرة السكان، ارتفاع معدلات الولادة، وحدة الدم بين السكان، واختلاطهم بأرض الوطن. كما شدد على أهمية تحقيق التوازن العادل بين سكان الحضر والريف داخل الدولة (عبدالغني,2007,ص2-3).وكان ينظر إلى حدود الدولة كأعضاء مغلفة للكائن الحي، قابلة للتغيير والنمو والاضمحلال.

4-**ريتشارد هارتشورن:** يُعد التعريف الذي قدّمه "ريتشارد هارتشورن" من أبرز التعاريف في مجال الجغرافيا السياسية، حيث اعتبرها علمًا يُعنى بتحليل أوجه التشابه والاختلاف بين الكيانات السياسية، سواء كانت دولًا أو أقاليم، من حيث خصائصها السياسية. وأكد على أن فهم هذه الفروقات يتطلب دراسة العلاقات المتبادلة بين الخصائص السياسية وسائر السمات الإقليمية الأخرى، سواء كانت طبيعية أو بيولوجية أو ثقافية (Bowman, 1921, p. 134).

5- كانت: يرجع تعبير الجغرافيا السياسية إلى العالم الألماني كانت الذي يُعتبر مؤسسا لهذا المجال. كان كانت يطرح أسس الجغرافيا السياسية خلال محاضراته في الجغرافيا الطبيعية. اعتبر كانت الجغرافيا العامل الرئيسي في تشكيل أحداث التاريخ، وأن الجغرافيا السياسية هي أحد فروع الجغرافيا. كما أكد على دور الجغرافيا السياسية في التأثير على الأحداث السياسية العالمية. ورغم ذلك، لم تلق أفكاره تأثيرًا واسعا إلا في وسط أوروبا وألمانيا. ومن أبرز تلاميذه الذين تناولوا هذا الموضوع كان كارل ريتر وفريدريك راتزل (الدبس,2006)

6- ديورانت وتيلسي : يعد التليسي جغرافيا إنجليزيا بدأ دراسته في مجال التاريخ، ثم شارك في تأليف كتاب عن الجغرافيا الاقتصادية عام 1925 ، ليتجه بعد ذلك إلى الجغرافيا السياسية، حيث ألف كتابا بعنوان "الأرض والدولة", ولم يتوقف التليسي عند هذا الحد، بل سعى لوضع إطار نظري للجغرافيا السياسية، محاولا من خلال دراسته تفسير سبب اختلاف الظواهر السياسية من مكان إلى آخر، مُعطيا الدولة الأولوية ضمن هذه الظواهر . كما درس الدولة وكيفية نموها باستخدام النواة كعنصر أساسي في نمو الدولة

(علي,1998, ص 22-23) . في كتابه الأرض والدولة، عمد التليسي إلى إدخال اسم "الأرض" في العنوان إلى جانب "الدولة"، ليثبت أن الجغرافيا السياسية، رغم تركيزها على دراسة الدولة تهتم أكثر بسطح الأرض مقارنة بالسياسة ذاتها.(محمود,1988,ص18).

أولاً: الاستنتاجات

1. الفكر الجغرافي السياسي ليس وليد العصر الحديث، بل نشأ منذ الحضارات القديمة، حيث تجلى في وادي الرافدين ومصر واليونان من خلال الربط بين الموقع الجغرافي وبناء الدولة، كما في نظم الري والدفاع والتوسع الإقليمي.
2. المفكرون العرب المسلمون أسهموا إسهامًا نوعيًا في تطور الجغرافيا السياسية، كما يتضح في أعمال المقدسي، الإدريسي، وابن خلدون، الذين ربطوا بين العمران، السلطة، والتنظيم المكاني، وقدّموا نماذج مبكرة للحدود والمجال الحيوي للدولة.

3. ظهور الجغرافيا السياسية كعلم مستقل في العصر الحديث جاء تتويجًا لتراكم فكري طويل، وتبلور من خلال منظّرين مثل راتزل وهاوسهوفر، الذين وضعوا أسسًا علمية لفهم العلاقة بين الجغرافيا والسلطة والنظام العالمي.

ثانياً: التوصيات

1. ضرورة توسيع الاهتمام بالأعمال الفكرية الجغرافية التي ظهرت في الحضارات القديمة، كالإغريقية والبابلية والمصرية، وتحليلها من منظور مقارن مع النظريات الحديثة، لما لها من أثر في التأسيس الأولي للمفاهيم الجيوبوليتيكية
2. تشجيع الأبحاث التطبيقية التي تربط النظريات الجيوبوليتيكية الحديثة بالسياقات الإقليمية العربية، لفهم التحديات المعاصرة مثل النزاعات الحدودية والصراعات الجيوستراتيجية.
3. الاهتمام بترجمة وتحليل مؤلفات المفكرين المسلمين في الجغرافيا السياسية، لإبراز مساهمتهم في تطور الفكر الجغرافي العالمي، وتصحيح النظرة الغربية الحصرية لنشأة هذا العلم.

References

1. Al-Ansari, N. (1997). *The Summary of Egypt's History*. Cairo: Dar Al-Shorouq.
2. Al-Fityan, A. M., & Suleiman, A. (1980). *Lectures in Ancient History (A Brief History of Iraq)* (Vol. 1). Baghdad: University of Baghdad Press.
3. Al-Hammami, A. M. (1965). In: Laski, H. J. *An Introduction to Political Science* (pp. 37–38). Cairo: Al-Hammami Press.
4. Al-Juwari, R. R. (2014). *Studies in Geographical Thought: Ancient and Islamic Civilizations*. Modern University Press.
5. Al-Katib, S. (2007). *Atlas of Ancient History*. Beirut: Dar Al-Sharq Al-Arabi.
6. Al-Khalili, J. (1979). *Summary of Arabs and Jews in History*. Baghdad: 1st Edition.
7. Al-Mashhadani, I. A., & Fadhel, A. K. (1990). *Geographical Thought*. Basra: Dar Al-Kutub Publishing.
8. Al-Mashhadani, I., Al-Hiti, S. F., & Saleh, S. M. (1985). *Geographical Thought and Research Methods*. Mosul: University of Mosul Press.
9. Al-Obaidi, N. N. A. (1997). *The Role of Arab-Islamic Geographical Thought in Defining the Concept of Regional Geography: A Comparative and Applied Study with Modern Thought – Al-Jazira Region* (Unpublished doctoral dissertation). University of Baghdad, College of Education – Ibn Rushd.
10. Aristotle. (2016). *Politics* (Trans. A. L. Sayyid). Beirut: Dar Al-Sharq Wal-Gharb.
11. Atrees, M. (2002). *Geographical Dictionary of the World*. Cairo: Al-Thaqafiya Publishing.
12. Baqir, T., Abdul Wahid, F., & Suleiman, A. (1980). *Ancient History of Iraq* (Vol. 1). Baghdad: University of Baghdad Press.
13. Emar, A., & Auboyer, J. (1986). *General History of Civilizations: The East and Ancient Greece* (Trans. F. Dagher & F. A. Riman). Beirut–Paris: Aouidat Publications.
14. Febvre, L. (1973). *Earth and Human Evolution* (Trans. M. S. Ghallab). Cairo: New Publications House.
15. Guang, X. (1987). *Geography of China* (Trans. M. Abu Jarad). Beijing: Foreign Languages Press.
16. Jackson, W. A. D., & Samuels, M. S. (1971). Introduction: The geography of political systems. In *Politics and Geographic Relationships* (p. 145). London: Prentice Hall.
17. Jones, S. B. (1971). The power inventory and national strategy. In W. A. D. Jackson & M. S. Samuels (Eds.), *Politics and Geographic Relationships* (p. 165). Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
18. Katzenstein, B. (2012). *Civilizations in Global Politics: Collective and Pluralist Perspectives* (Trans. F. Jatkar). Kuwait: Alam Al-Ma'arifa.
19. Makawi, F. (1980). *The History and Civilizations of the Greek World*. Casablanca: Dar Al-Rashad Al-Haditha.
20. Mohammed, M. M. A. (1998). *Eastern Roots of Greek Science*. Cairo: Routa Print Press.
21. Mohammed, S. A., & Obeid, M. F. (2024). The mathematical geographical ideas of Arab and Muslim scholars and their astronomical applications (A study in geographical thought). Tikrit University Journal for Humanities, 31(4), 63–82.
22. Naeem, F. (n.d.). *Brief History of the Ancient Near East*. Damascus: Dar Al-Fikr.
23. Needham, J. (1990). *A Short History of Science and Civilization in China* (Trans. M. G. Gouda). Cairo: General Book Authority.
24. Oppenheim, L. (1981). *Mesopotamia* (Trans. S. F. Abdul Razaq). Baghdad: Dar Al-Rasheed.
25. Plato. (1986). *The Republic of Plato* (Trans. F. Zakaria). Cairo: General Egyptian Book Authority.
26. Plato. (1986). *The Republic of Plato* (Trans. H. Khabbaz). Baghdad: Al-Nahda Library.
27. Pounds, N. J. G. (1963). *Political Geography*. New York: McGraw-Hill.

28. Riyadh, M. (1972). *Man: A Study in Type and Civilization*. Cairo: Hindawi Foundation.
29. Sachs, H. (1979). *The Greatness of Babylon* (Trans. A. Suleiman). Baghdad: Dar Al-Kutub Publishing.
30. Sachs, H. (1979). *The Power of Assyria* (Trans. A. Suleiman). France.
31. Suleiman, A., Baqir, T., & Abdul Wahid, F. (1980). *Ancient History of Iraq*. Baghdad: University of Baghdad Press.
32. Taqoush, M. S. (Ed.). (2011). *Encyclopedia of Ancient Civilizations (Simplified)*. Beirut: Dar Al-Nafaes.
33. Wahiba, A. F. M. (2003). *Historical Geography: Theory and Application*. Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.